الفصل السابع

الإعجاز العقدى والتشريعى

هذا هو المقصد الأساسى من كل ماسبق ذكره من وجوه الإعجاز، على الرغم من أنه هو ذاته وجه آخر من هذه الوجوه.

وإذا كان العلم الحديث قد اكتشف أخيرا سبق القرآن وعظمته فى تقرير الحقائق العلمية، وأقر كثير من العلماء المحدثين بصدق القرآن الكريم فإن ذلك برهان واضح على صحة العقيدة والشريعة الإسلامية، لأن الذى قرر الحقائق العلمية فى هذا الكتاب هو الذى أخبرنا بما أخبر به من الأمور العقدية والتشريعية وقرر أنهما طريق النجاة فى الدنيا والآخرة.

«ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين»(١).

إذا فلابد لكل عاقل أن يسلم بصدق العقيدة الإسلامية وبطلان ماعداها من العقائد المحرفة فلا انفصال بين يقين الحقائق العلمية وبين يقين العقيدة الإسلامية فصاحبهما والمخبر بهما واحد وهو الله رب العالمين.

ومع أن الوهم عند بعض المفكرين الغربيين يجعلهم يفصلون بين هذا وذاك لأسباب نفسية ورواسب وراثية، إلا أننا نعتقد إن الجولة القادمة هى فى صالح الإسلام فى أوربا، لأن الوهم سرعان مايتبدد، وتبقى حقائق العقل ولوازم المنطق واليقين.

فما هو وجه الإعجاز فى عقيدة الإسلام وشريعته؟

أولا – أما إعجازه العقدى فيتمثل فى أنه جاء بعقيدة جديدة لا وجود لها فى البيئة التى يعيش فيها ولاوجود لها حتى عند أصحاب الأديان السماوية السابقة

---

(١) آل عمران ٨٥.

فقد كان الإله المعبود عند النصارى واليهود - بعد التحريف - إلها موصوفا بصفات البشر من البنوة والجسمية والتعدد.

وكان الفرس يعبدون النار، والهنود يعبدون البقر وبوذا وبراهما، وما كان فى العالم كله إنسان واحد يوحد الله أو يعرف حقيقة الإله الذى يستحق العباده، وإذا بالقرآن الكريم يأتى بهذه العقيدة السامية التى ردت الألوهية للإله الحق وعبدت الناس لمن يستحق العبادة.

جاء القرآن بعقيدة التوحيد بيضاء نقية، تصف الإله بكل مايستحق أن يتصف به من صفات الكمال والجلال وتنزهه عن النقص والمعايب، وتنص على وحدانيته فى ألوهيته ووحدانيته فى ربوبيته، ولم يقف القرآن عند هذا الحد بل فصل حدود الإيمان وأثبت عقيدة البعث الروحانى والجسمانى وفصل مراحل مابعد الموت تفصيلا لم يكن أحد يعرفه فى العالم كله حتى أنه ليصف الجنة ونعيمها وأبوابها، والنار والوان عذابها كأنهما رأى العين[١].

وفى هذا يقول أبو منصور الماتريدى وهو بصدد بيان إعجاز القرآن: «ثم مافيه من المحاجة فى توحيد الرب وأدلة البعث مما لم يكن يومئذ على وجه الأرض من يدعى ذلك»[٢].

ووجه الإعجاز فى هذا الوجه أن هذه المسائل التى فصلها القرآن الكريم عن قضية الألوهية والبعث لامجال للعقل فيها، ولايمكن أن تأتى بمجرد الفكر البشرى ومن هنا فلامناص من الاعتراف بأن القرآن الكريم كتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

ثانياً - وأما إعجازه التشريعى فيتمثل فيما ورد فيه من تشريعات تنظم المعاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان على مختلف المستويات بين المسلم والمسلم وبين المسلم وغير المسلم، بين الإنسان وأخيه فى البيت وفى المجتمع المحلى والمجتمع الدولى. والتشريعات المنظمة فى حد ذاتها لاجديد فيها، فقد وضع

(١) قارن صـ ٤٠ من النبأ العظيم.

(٢) راجع ص ٢٠٤ من كتاب «التوحيد» لأبى منصور الماتريدى.

الرومان واليونان قوانين ونظم. ولكن المعجز فى تشريعات الإسلام إنها تستطيع أن تحقق العدل بين الإنسان وأخيه الإنسان بصرف النظر عن جنسيته ولونه أو حتى دينه، وهذا ما عجزت عنه القوانين السابقة والتى وضعت لكى تحقق مصلحة قوم أو جنس على حساب باقى الناس، أما تشريعات القرآن فهى تشريعات عادلة لأنها تشريعات رب الناس دون محاباة لجنس على آخر وهذه تشريعات يعجز أى إنسان مهما كان موضوعياً ومهما تغلب على نوازع نفسه وميولها أو يقنن لها، وإذاً فهى تشريعات الله المنزلة على محمد ﷺ .

ولقد اعترف الغرب النصرانى بعظمة التشريعات الإسلامية فقد أقيمت مؤتمرات للفقه الإسلامى فى فرنسا وكثير من دول أوربا، وأجمعت كلمة رجال الفقه والقانون على اختلاف نحلهم ومذاهبهم على مدى أهمية الفقه الإسلامى وروعته وضرورة الإقبال على دراسته.

وإذا عرفنا أن الفقه الإسلامى الذى يقال عنه هذا الكلام إنما يرتد إلى ماقبل أربعة عشر قرنا من الزمان، وأنه ظهر بين أقوام بدائية يحتكمون فى مختلف شئونهم إلى الأعراف القبلية، ليست لهم ثقافة تؤلف منهم تركيباً اجتماعياً يحتاج إلى نظام أو قانون - أقول إذا تأملت فى هذا كله، أدركت أن التشريع القرآنى من أجل مظاهر الإعجاز فى هذا الكتاب العظيم.

ذلك أنه من الأمور البدهية عند علماء القانون والاجتماع أن أخر مايتوج به تقدم أى أمة من الأمم هو تكامل البنية القانونية والتشريعية فى حياتها.

إذاً فظهور قانون متكامل فى أمة من الأمم هو الثمرة العليا لتقدمها الحضارى، وليس العكس، إذ أن الأمة التى لم تتقدم حضارياً، أو التى ما تزال تعيش فى طور البداوة، ليس فى حياتها من التعقيد الإجتماعى مايشعر بالحاجة إلى وضع قانون عام، ولكنها تشعر بذلك كلما تقدمت حضارياً وإزداد تركيبها الاجتماعى تعقيداً.

إلا أن الذى ظهر فى الجزيرة العربية قبل أربعة عشر قرنا من الزمان كان عكس هذا القانون البدهى تماماً، فقد ظهر فجأة بين تلك الجماعات البدائية

قانون متكامل يتناول الحقوق المدنية والأحوال الشخصية، ويرسم صورة للعلاقات الدولية، ويضع نظام الحرب والسلم، ويضع نظاماً للمعاملات المالية، والسياسية، وهكذا تشريع متكامل لايترك من أمور الحياة صغيرة ولاكبيرة إلا عالجها وقنن لها هذا فى الوقت الذى كان فيه عرب الجزيرة العربية، لايعرفون شيئاً عن معنى المجتمع الذى يحتاج إلى قانون، فلم يأخذوا بنصيب من العلم أو الحضارة، مما يعد خطوات أساسية لابد من اجتيازها قبل وضع القانون العام.

فهل يستطيع الإنسان العاقل أن يجد حلا لهذا اللغز العجيب إلا فى اليقين بأن الكتاب الذى حوى هذا التشريع إنما أنزل وحيا من الله العليم الخبير[1].

وهكذا يبدو لنا الإعجاز التشريعى فى القرآن الكريم من ناحيتين:

الأولى : فى قدرة تشريعات القرآن على تحقيق العدل المطلق والمساواة الحقة بين الناس دون نظر إلى جنسهم أو لغتهم، فهى تنطلق من منطلقات إنسانية بحتة: وهذا مايعجز أن يحققه أى مشرع بشرى.

الثانية : فى تكامل هذه التشريعات ومعالجتها لشتى أمور الحياة مع ظهورها فى وقت ماكان يسمح بظهورها بين العرب فى بداوتهم، لولا أن الله قد رحم الإنسانية بهذه التشريعات المعجزة القادرة على تحقيق السعادة للإنسان.

والواقع أن المسلمين اليوم قبل غيرهم، فى أمس الحاجة إلى معرفة هذا الوجه والاقتناع به اقتناعا يدفعهم إلى العودة إلى تشريعات القرآن وتطبيقها على حياتهم، بعد أن ينفضوا عن أنفسهم غبار القوانين الوضعية التى يحتكمون إليها اليوم.

وإذا كان الغربيون اليوم قد أدركوا صحة القرآن الكريم من خلال كشفهم إعجازه العلمى فأنه أولى بنا أن نعترف اليوم بأنه لاسعادة لنا ولا رقى إلا بالعودة إلى تشريعات القرآن كما أخبر بذلك من وضع فيه هذه الحقائق العلمية وأنزله هداية للناس «قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو، فإما يأتينكم

---

(١) راجع ص ١٥٩ ومابعدها من كتاب «من روائع القرآن» د. رمضان البوطى.

منى هدى فمن اتبع هداى فلايضل ولايشقى، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى»[١].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق المسلمين شعوبا وحكاما إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) طه ١٢٣ ، ١٢٤.

المصادر والمراجع

أولاً القرآن الكريم

ثانياً المؤلفات البشرية

١ – إحياء علوم الدين – حجة الإسلام الإمام الغزالى
٢ – أسرار ترتيب القرآن – السيوطى
٣ – إعجاز القرآن – أبو بكر الباقلانى
٤ – إعجازالقرآن – مصطفى صادق الرافعى
٥ – إنجيل متى
٦ – الباقلانى وكتابه إعجاز القرآن – د. عبد الرؤف مخلوف
٧ – البيان والتبيين – الجاحظ.
٨ – البحث العلمى – مناهجه وتقنياته د. محمد زيان عمر
٩ – التصوير الفنى فى القرآن الكريم – الأستاذ سيد قطب.
١٠– التمهيد – أبو بكر الباقلانى.
١١– التفسير البيانى د. عائشة عبد الرحمن.
١٢ - الرسول ﷺ - الأستاذ سعيد حوى.
١٣– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – ابن تيمية.
١٤– الدين والعلم – أحمد عزت.
١٥– الصناعتين – أبو هلال العسكرى.
١٦– الظاهرة القرآنية – مالك بن نبى.
١٧– العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية – د. سعد الدين السيد صالح.
١٨– العقيدة الإسلامية – رؤية جديدة فى أسلوب الدراسة – د. سعد الدين السيد صالح.
١٩– العقيدة الإسلامية وأسسها – عبد الرحمن حبنكة.
٢٠ – العلم والمنطق والإيمان – كمال مطر.

٢١- العقائد النسفية - سعد الدين التفتازانى.
٢٢- الفصل - ابن حزم الظاهرى.
٢٣- القرآن يتحدى - أحمد عز الدين خلف الله.
٢٤- القرآن محاولة لفهم عصرى - د: مصطفى محمود
٢٥- القرآ وقضايا الإنسان - د. عائشة عبد الرحمن
٢٦- القرآن وبناء الإنسان - صلاح عبد القادر.
٢٧- المغنى - القاضى عبد الجبار
٢٨- النبأ العظيم - د. محمد عبد الله دراز
٢٩- النبوات - ابن تيمية
٣٠- النظم القرآنى فى سورة الرعد د. محمد سعيد الدبل
٣١- المعجزة وكرامات الأولياء - ابن تيمية
٣٢- المقاصد - سعد الدين التفتازانى
٣٣- المنطق واتجاهاته القديمة والحديثة والمعاصرة - د. سعد الدين صالح
٣٤- المنطق ومناهج البحث العلمى - الواثق بالله عبد المنعم
٣٥- المجموعة الكاملة - العقاد
٣٦- الإتقان فى علوم القرآن - السيوطى
٣٧- المنتخب من تفسير القرآن الكريم - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٣٨- الإسلام والفكر العلمى - د. محمد المبارك
٣٩- الإعجاز البيانى - د. عائشة عبد الرحمن
٤٠- الإعجاز البلاغى - د. صباح دراز
٤١- الإعجاز القرآنى من الوجهة التاريخية د. محمد العزب
٤٢- الإنسان فى الكون - د. عبد العليم خضر
٤٣- الإسلام فى عصر العلم - د. محمد أحمد الغمراوى
٤٤- الإسلام فى عصر العلم - محمد فريد وجدى
٤٥- الأصول الخمسة - القاضى عبد الجبار

٤٦- الإرشاد - إمام الحرمين الجوينى
٤٧- الإيضاح فى علوم البلاغة - الخطيب القزينى
٤٨- اينشتاين والنظرية النسبية - د. محمد عبد الرحمن مرحبا
٤٩- تاريخ آداب اللغة العربية - مصطفى صادق الرافعى
٥٠- تأثير الفكر الدينى فى البلاغة - مهدى صالح
٥١- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة
٥٢- تبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب
٥٣- تفسير الكشاف - جار الله الزمخشرى
٥٤- تفسير الآيات الكونية د. عبد الله شحاتة
٥٥- تفسير المنار - الأستاذ رشيد رضا
٥٦- ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - تحقيق د. زغلول سلام وزميله.
٥٧- حياة محمد - محمد حسين هيكل
٥٨- دراسات فى العقيدة الإسلامية - د: فؤاد العقلى
٥٩- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجانى
٦٠- روائع القرآن - د. محمد سعيد رمضان البوطى
٦١- روح المعانى - الألوسى
٦٢- شرح العقيدة الطحاوية - على بن على بن محمد بن أبى العز
٦٣- شواهد العلم فى هدى القرآن - محمد سعدى المقدم
٦٤- ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن د. إبراهيم حسن الخضيرات
٦٥- شمائل الرسول ودلائل نبوته - للإمام أبى الفدا إسماعيل بن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد بيروت.
٦٦- فى الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيقه - د. مدكور
٦٧- فى الشعر الجاهلى. طه حسين.
٦٨- فى ظلال القرآن - الأستاذ سيد قطب
٦٩- قصة الإيمان - نديم الجسر
٧٠- قضايا النبوات - د. محمود عبد المعطى بركات

٧١- قوانين الله وليست قوانين الطبيعة - محمود سراج الدين عفيفى
٧٢- كتاب التوحيد - أبو منصور الماتريدى
٧٣- كلمة الإنسانية العليا - حسين هادى الشربينى
٧٤- لسان الميزان - ابن منظور
٧٥- ما أصل الإنسان - موريس بوكاى
٧٦- مباحث فى علوم القرآن - د. صبحى الصالح
٧٧- مشاهد القيامة فى القرآن - الأستاذ سيد قطب
٧٨- مشكلات العقيدة النصرانية - د. سعد الدين صالح
٧٩- من الآيات العلميه د. عبد الرزاق نوفل
٨٠- مناهل العرفان - عبد الوهاب الزرقانى
٨١- منهج ابن تيمية فى تفسير القرآن - صبرى المتولى
٨٢- مفاتيح الغيب - الإمام الرازى
٨٣- معجزة القرآن - الشيخ محمد متولى الشعراوى
٨٤- معجزة القرآن - نعمت صدقى
٨٥- مقالات الإسلاميين - أبو الحسن الأشعرى
٨٦- مقدمة ابن خلدون
٨٧- معترك الأقران - السيوطى
٨٨- معجزات قلب القرآن - هاشم دفتر دار
٨٩- مختار الصحاح - محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى
٩٠- مناهج التأليف عند العلماء العرب د. مصطفى الشكعة
٩١- نهاية الإقدام فى علم الكلام - الشهرستانى - تحقيق الفردجيوم
٩٢- ناقة صالح - محمد عبد الغنى حسن
٩٣- نظرات فى القرآن - الشيخ محمد الغزالى
٩٤- نحو القرآن د. محمد البهى

هذا عدا كثير من المراجع التى اكتفينا بذكرها فى الهوامش